بائية الشاه ولي اللّٰه الدهلوي

دراسة تحليلية

الدكتور محمد قمر علي
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
الكلية الشرقيه- جامعة بنجاب

إن الشخصيات البارزة من علماء الإسلام قاموا بدور مجيد في القرن الثاني عشر في مجال العلم والعمل في الهند، ليس لهم نظير ولا مثيل، ومنهم شيخ الإسلام قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بالشاه ولي اللّٰه الدهلوي كان عالما مفسرا- محدثا وفقيها شهيرا في عصره في أرض الهند وخارجها وكان هذا الشيخ من وجوه مشايخ دهلّ وأعيانهم، له حظ وافر من العلوم العقلية والدينية والعمرانية والباطنية مع علوم مقامه في الطريقة الصوفية-

ولد الشاه ولي اللّٰه يوم الأربعاء موافقا الرابع من الشوال المكرم عند طلوع الشمس سنة أربعة عشر ومائة وألف من الهجرة في قرية بهلت بقرب محافظة مظفر نجر، وقد بشر والده قبل ولادته في رؤياء صالحة، فبشره بذلك الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي الأوشي وقال له أن يسميه باسمه فلذلك قيل له قطب الدين، ينتهي نسب الشاه ولي اللّٰه إلى أمير المومنين عمر بن الخطاب

الفاروق رضي الله تعالىٰ عنه' ولذلك كان عربيا قرشيا عمريا بنسبه.

قد ذكر نسبه في بعض المصادر.

ونشاء الشاه ولي الله في حجر العلم والأدب ' اهتم أبوه عبد الرحيم لدارسة ابنه اهتماما خاصا. فإنه حفظ القرء ان الكريم ولم يبلغ سنه إلى سبع سنين' وقرأ الكتب الفارسية والمختصرات من العربية.

وقد تحصل له استعداد مطالعة الكتب مطلقا في السنة العاشرة وتزوج في السنة الرابعة عشرة من عمره وبايع على يد والده واشتغل بأشغال الصوفية لاسيما المشايخ النقشبندية' ولبس الخرقة الصوفية.

قرأ الشاه ولي الله من العلوم التفسيرية والفقهية' وقرأ التفسير البيضاوي وتكمل العلوم المتداولة بهذه الديار ولم يسلخ من سنه إلا الخامس عشر' ثم قرأ بعض الكتب في الحديث النبوي الشريف وأصول الفقة والمنطق ومن علم الكلام وغيرها. واكتسب هذه العلوم كلها من والده ولكن كان يختلف إلى الإمام الشيخ محمد أفضل السيالكوتي خلال فترة دراسية فانتفع في الحديث.

قد اشتغل الشاه ولي الله بالتدريس نحواثنتي عشرة سنة ونجح في هذا المجال نجاها باهرا. فجعل يدرس كتب العلوم العقلية والنقلية في المدرسة الرحيمية.

وكان يشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين وبعد مدة اثنتى عشرة سنة سافر إليها مع خاله الشيخ عبد الله البارهوى سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين' فأقام هنالك حولين كاملين. واستفاد من فيوضات متنوعة علمية من سادة

العلماء والروحية من المشايخ، وتتلمذ على الشيخ أبي طاهر محمد إبراهيم الكردي في المدينة المنورة فتلقى منه دراسة الجامع الصحيح للبخاري وقليلا من الجامع الصحيح لمسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داؤد وسنن ابن ماجه وغيرها وسمع منه سنن الحافظ الدارمي من أوله وآخره، فأجازه الشيخ أبو طاهر، وفي مكة المكرمة أخذ الإجازات عن الشيخ وفد الله المالكي تاج الدين القلعي لسائر كتب الحديث.

وبعد أن الإجازات والخرق من المشايخ الصوفية عاد إلى مسقط رأسه، واشتغل بالتدريس بالمدرسة وبدأ تأليف الكتب في العلوم المختلفة إلى أن توفي رحمه الله تعالىٰ في سنة ١١٧٦هـ، ودفن بجانب قبر والده خارج مدينة دلهي. فألف المؤلفات القيمة على موضوعات دينية علمية وسياسية واقتصادية، فلذا اشتهر بخطاب "حكيم الأمة" وأعطاه الله سبحانه وتعالىٰ موهوبة خاصة وقدرة على اللغة العربية، وكان له أذواق في الفنون والآداب ويكتب في اللغات المختلفة من النظم والنثر كأنما الإعجاز أوالسحر يكاد يتدفق من اللفظ ومعناه، وبلغ عدد مؤلفاته الكبيرة والصغيرة إلى ٥٣ مؤلفا، ومنها في علوم القرءان، ونحن نذكر نبذة منها:

١. فتح الرحمان في ترجمة القرءان، وهذا ترجمه الشيخ كتاب الله تعالىٰ بالفارسية.
٢. الفوز الكبير في أصول التفسير، ذكر فيه العلوم الخمسة القرءانية والحقائق الأخرى.
٣. الزهراوين في تفسير سورة البقرة وسورة آل عمران.
٤. الفتح الخبير، هذه الرسالة على غرائب القرآن وتفسيره.

وقد صنف الشيخ في الحديث النبوي على صاحبه الصلوات الزاكيات والتسليمات العاطرات ثماني مؤلفات.

١. المصفى شرح المؤطا

٢. المسوي شرح الموطا

٣. شرح ترجم الإبواب للبخاري

٤. النوادر من أحاديث سيد الأوائل والآواخر.

٥. الأربعين: أربعين حديثا قليلة المباني كثيرة المعاني.

٦. الدر الثمنين في مبشرات النبي الأمين ﷺ

٧. الإرشاد في مهمات الأسناد.

٨. العين في مشايخ الحرمين

وله كتا بان في أصول الدين وأسرار الشريعة

١. حجة الله البالغة ٢. إزالة الخفاء

وفي علم الكلام والعقيدة الحسنة بالعربية وقرة العينين في تفصيل الشيخين بالفارسية.

وقد صنف الشاه ولى الله كتبا كثيرة على الموضوعات الدينية الهامة والعلمية والفنية' ومن مصنفاته العديدة في أصول الفقه' عقد الجيد في أحكام الجتها والتقليد (وهذة الرسالة بالعربية) واختلاف الفقهاء.

وقد ذكر صاحب حياة ولي مصنفاته بالوضوع والتفصيل في كتابه كما يلي:

سرور المحزون

أنفاس العارفين

الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف

الإمداد في مآثر الأجداد

البنيذه الإبريرية فى اللطيفة العزيزية

العطية الصمدية في أنفاس المحمدية

ألطاف القدس في لطائف النفس

فيوض الحرمين

القول الجميل

التفهيمات الإلهية (هذا الكتاب في علوم السلوك والمعارف ويحتوي على جزئين:(١) الخير الكثير (٢) الانتباه في سلاسل أولياء الله.

الهوامع في شرح حزب البحر

المكتوبات:

المقالة الوصية في النصيحة والوصية

المقدمة السنية في انتصار الفرقة السنية

السر المكتوم في أسباب تدوين العلوم

مسلسلات النخبة في سلسلة الصحبة

إن الشيخ الشاه ولي الله مثل الشجرة الطوبى أصلها في بنيانه وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين، وكان مفسرا بارعا، وفقيها ذكيا، و محدثا فحنميا، ومجتهدا عظيما، وصوفيا كبيرا، وشاعرا مجيدا، وفي السطور الآتية نحن نلاحظ من ناحية الشاعر وله مهارة وبراعة في الشعر ، ومن تجريد قلمه في التعبير عن محاسن المجتمع الظروف الطارء ة فيه سواء فيه أكانت حسنة أم سيئة؟ وموضوعات هامة أخرى والأمر الذي يتمكن لأجله أن يوصف بالشاعر البحت، بل أنه رحمه الله نظرا لاشتغاله فى مجالات خدمة الدين الإسلامى والتصنيف فى التفسير وأصوله والأحاديث وشروحه وعكوفه على دراسة وتدريس العلوم الشرعية. لم يقل في الشعر إلا بعض أنواعه بدافع ديني فقط، ونحن نستطيع أن نقسم ماقاله من الشعر إلى موضوعات ثلاث فحسب: (١) الحمد (٢)المدح (٣) موضوعات أخرى متفرقة.

ويحتوي شعره على الحمد والمدح ويدور حول مدح سيد الرسل وسائد

الأنبياء ﷺ ولم يلوث قلمه بمدح أحد أخر من الأمراء وأصحاب الثروة والجاه، وجعل نصب عينيه فقط مدح الحبيب سيد الكونين والثقلين ﷺ ومنهم سيدنا حسان بن ثابت، وكعب بن زهير ، وكعب من مالك،وعبدالله بن رواحة ، ولبيد بن ربيعة، وبجير بن زهير، و سواد بن قارب وغيرهم ، رضي الله تعالىٰ عنهم وكان سيدنا رسول الله ﷺ يحب كثيرا كثيرا قصائده المدحية ، ويسبغ على المادحين من النعم الكبيرة، ويبشرهم بفلاح الآخرة وشفاعته يوم القيامة ودخول الجنة.

ولذلك مازال الشعراء المسلمون يظهرون حبهم لنبيهم ﷺ وعواطفهم ومشاعرهم بأشعارهم ويذكرون فى مداحهم مناقبه وخصاله وأوصافه ومحاسنه وهي لا تعد ولا تحصى، وفضائله ووقائعه ومعجزاته ويحبونه لأن حبه ﷺ هي أصل الإيمان فإن الله تبارك وتعالى أمر الأمة الأسلامية باتباعه كاملا، ومتمسكا شخيته تمسكا مضبوطا حيث قال إمام الشعراء الإمام أبو عبدالله محمد بن سعيد البوصيري.

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

وأمر سيدنا رسول الله ﷺ المسلمين أن يحبوه حبا كاملا حيث قال:

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبه إليه من والده وولده والناس أجمعين.

فلذا أقبل الناس على مدحه ﷺ إقبالا شديدا، ونالوا بها سعادة كبرى ومن هؤلاء المادحين الشاه ولي الله الدهلوي، فقد جاء بقصيدتين شهيرتين في مدح سيدنا رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم، وهما:

١. القصيدة البائية
٢. القصيدة الهمزية

قد سمع النبي ﷺ عدة القصائد المدحية وأحبها ورضي عن المادحين كالقصيده اللامية لكعب بن زهير، والقصيدة الهمزية لسيدنا حسان بن ثابت ،

والقصيدة البائية لسواد بن قارب رضي اللّٰه تعالىٰ عنهم وغيرها من القصائد' فنحن نرى كثيرا من الشعراء المتأخرين وهم يتبعونهم في تلك القصائد المدحية' ومنهم شيخنا الشاه ولي اللّٰه الدهلوي ' فإنه قد اتبع في قصيدته البائية الصحابي الجليل والمادح الكبير سيدنا سواد ين قارب رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ' ويذكره في أبياته معترفا له واتباعا له حيث قال:

وأنت يوم لا ذوشفاعة
بمعنى كما أثنى سواد بن قارب

نظرا إلى ماتأثر به الشاه ولي اللّٰه بالقصيدة البائية لسواد بن قارب' نحن نرى واضحا بأنه نحا نحوه ونهج منهجه' واقتدى أثره ' يحسن بنا في هذا المقام أن نذكر هذا المادح الكبير الجليل موجزا ونرى قصيدته البائية

سواد بن قارب رضي اللّٰه تعالىٰ عنه

إن سيدنا سواد بن قارب السدوسي من بني سدوس وكان يتكهن في الجاهلية' وكان شاعرا فحلاثم أسلم' قد روي أن عمر رضي اللّٰه تعالىٰ عنه إذ قال له وهو خليفة المسلمين' كيف كهانتك اليوم ؟ غضب سواد بن قارب وقال: ياأمير المومنين ما قالها لي أحد قبلها فاستحى عمر' ثم قال أيه! يا سواد الذي كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الإسلام وما أتاه به رؤية من ظهور رسول اللّٰه ﷺ فأخبره بإنه فى رؤياه ثلاث ليال متواليات وهو فيها كأنه بين النائم واليقظان فقال له قم يا سواد ! فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ' قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللّٰه وإلى عبادته.(١٦)

وأنشده في كل ليلة من الليال الثلاث ثلاث أبيا معناها واحد وأولها:

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغي ماصادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم
ليس قداها كاد تابها

وذكر تمام الخبر وفي آخر شعر سواد بن قارب، ولما قدم على النبي ﷺ أنشده ما كان من الجن رؤية إليه ثلاث ليال متواليات، وذكره قوله في ذلك.

أتاني بخيبي بعد هدء ورقدة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك بني من لؤي بن غالب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
إلى يا ابن الأكرمين الأطائب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا
وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذوشفاعة
بمغني فتيلا عن سواد بن قارب
فرفعت أذيال الإزار وشمرت
بي القرين الوجناء بين السباسب
فاشهد أن لا إله لا رب غيره
وأنك مأمون على كل غائب

فلما سمع النبي ﷺ قصيدته تبسم وقال له:

أفلحت يا سوار (١٧)

ويقول الشاه ولي الله أن مدح سيد المرسلين ﷺ ونشر مناقبه سبب البركات والخيرات والفوز في الدنيا والفلاح في الآخرة. (١٨) ولذلك صنع القصيدة البائية لينال القبول لديه حضرته القدسية فيستشفع بها يوم القيامة، وتشتمل هذه القصيدة البائية على ١٠٧ بيت واختارلها"البحر الطويل" وقسمها في أحد عشر فصلا وذكر فيها مناقبة ﷺ بأسلوب بديع، وطراز أخاذ، واستخدم لها كلمات فصيحة.

يقول الشاه ولي الله قد وردت في القصائد المدحية ألفاظ غربية وصعبة ما جعلني استحسنت أن أقسم هذه القصائد إلى موضوعات متعددة ينفرد كل فصل لبيان معنى خاص ينضمه.(١٩)

إن أول موضوع بيدأ به الشاه ولي الله قصيدته البائية في مدح رسول الله ﷺ هو يشتمل على ذكر كوارث الدهر وصروف الزمان التي أحاطت بالدنيا وأهلها وفيهم الشاه رحمه الله تعالىٰ حتى نجده يعبر عن ضيق نفسه وخثر قلبه وبأن مصائب الزمان المتتالية دوما قد شغلته حتى عن نفسه وحتى جعلته يفكر في النجاة عن المصائب السماوية التي تحيط به و بالكون عن جميع الجوانب، وفي شدة هذه الشدائد والظلمات يلتمس عن خحد يلوذ به من خوف سوء العواقب فلا يجد إلا شخصية رسول الله ﷺ لأنه من يلوذ به ويعتصم يغتنم في هذه الدار وينجح في الآخرة كما يقول الشيخ محمد الفيومي:-

وأكرم الرسل يعلو من يلوذبه

وأيضا يقول:

من يصل عليه فاز مغتنما(٢٠)

وتلكئذ يجد مرامه من عنده فإنه حقا وبلا ريب ناصره و مساعده فصاحب لمناقب الجمة يعتصم به المكروب عند كل ضيق وحرج.

فيقول الساه ولي الله تعالىٰ

كأن نجوما أومضت في الغياهب
عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب
إذا كان قلب المرء في الأمر خاثرا
فأضيق من تسعين رجب السباسب
تشغلني عني وعن كل راحتي
مصائب تقفوا مثلها من مصائب
إذا ماأتتمنى أذمة مدلهمة

تحيط بنفسي من جميع جوانب
تطلبت هل من ناصر أومساعد
ألوذبه من خوف سوء العواقب
فلست أرى إلا الحبيب محمدا
رسول إله الخلق جم المناقب
ومعتصم المكروب في كل غمرة
ومنتج الغفران من كل تائب(٢١)

وفي الموضوع الثاني في قصيدته يأتي الشاعر بذكر شفاعة النبي ﷺ، يذكر الشاه رحمه الله تعالىٰ المنقبة العظيمة من مناقب رسول الله ﷺ فيقول:

أن جميع الناس عند ماتستولي عليهم الحيرة والاضطراب الحازم في ميدان الحشر يوم الفزع الأكبر يوم لا شفيع ولا ناصر، يوم يجازى المحسنون والآثمون بأعمالهم الماضية في الدنيا، يريدون الأمن والعافية ويقصدون إلى آدم ونوحا وأبراهيم وموسى وعيسى من الأنبياء الكرام وأولي العزم من الرسل العظام، وكانت مصائب هذا اليوم الأكبر قد هالت الجميع منهم فيتبادرون إلى المعذرة وعدم التمكن من الاستشفاع لهم من جناب رب العالمين فعندما تنقطع حبال الرجاء من جميعهم فيحضرون في حضرة رسول الله ﷺ الذي هو ملاذ عبادالله وملجأهم في خوفهم يوم القيامة فينحو لربه شفيعا وفتاحا لباب المواهب فيعطيه الرب سئوله وقد ورد ذكر هذه الشفاعة الكبرى في الضحيحين بالتفصيل(٢٢)

يقول الشاه ولي الله:

ملاز عباد الله ملجأ خوفهم
إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب
إذا ماأتوا نوحا وموسى وآدما
وقد هالهم أبصار تلك المصائب

فما كان يعنى عنهم عند هذه
نبي ولم يظفرهم بالمآرب
هنالك رسول الله ينحو لربه
شفيعا وفتاحا لباب المواهب
فيرجع مسرورا بنيل طلابه
أصابه من الرحمن أعلى المراتب

كان النبى الأكرام ﷺ خير الناس نسبا و شرفا وسلالة وأبوة وأمومة' بل وقد اصطفاه ربه عزوجل على جميع الورى سيد اللانبياء وخاتما للمرسلين.

ذكر الشاه ولي الله رفعة وعلو نسبه ﷺ مادحا بإنه قد حاذه خير الأبوة وبإنه خير الناس نسبا وسلالة. قد رواه مسلم جاء فيه مامعناه (٢٣)

قد اصطفى الله تعالى من ولد إسماعيل بني كنانة' ومن بنى كنانة قريشا' ثم اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من أسرة بني هاشم.

ثم ينقتل الشاه ولي الله بعد ذكره سلالة نسبه ﷺ الشريفة إلى ذكر النبي ﷺ حيث هو الذي قد سبق وأنه بشربه عيسى ابن مريم عليه السلام كما جاء في القراء ن الكريم.

''وإذا قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إنّى رسول الله ﷺ إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد' فلما جاء هم بالبينات قالو هذا سحر مبين. (٢٤)

ودعا به سيدنا إبراهيم عليه السلام كما جاء في القرء ان الكريم:

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم.(٢٥)

يقول الشاه ولي الله:

سلالة إسماعيل والعرق نازع
وأشرف بيت من لوي بن غالب

بشارة عيسى والذي عنه عبروا
بشدة بأس بالضحوك المحارب
ومن أخبروا عنه بأنه ليس خلقه
بفظ وفى الأسواق ليس بصاخب
ودعوة إبراهيم عند بناء ه
بمكة بيتا فيه نيل الرغائب

ينتقل شاعرنا بعد ذكر تبشير الأنبياء الكرام عليهم السلام بالنبي ﷺ(٢٦)إلى أخلاق النبى وشمائله ﷺ والتدبر فيها وفهمها وما ذكر في هذا الموضوع' يدور حول ذكر الأوصاف الخلقية والشمائل الحسنة' بجانب ذكر بلاغة اللسان وفصاحة المنطق وفيه أيضا ذكر شجاعته وعلوهمته وجوده وكرمه وسخائه وعفوه وحلمه وزهده ﷺ وغير ذلك.

جميل المحيا أبيض الوجه ربعة
جليل كراديس أزج الحواجب
صبيح مليح أدعج العين أشكل
فصيح له الأعجام ليس بشائب
وأنفعهم للناس عند النوائب
وأجود خلق الله صدرا ونائلا
وأبسطهم كفا على كل طالب
وأعظم حر للمعاني نهوضه
إلى المجد سام للعظائم خاطب
ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره
وآذاه أحمر بأس في بئيس المواجب
وإذا قوم من سفاهة عقلهم
ولم يذهبوا من دينه بمذاهب

ومازال يدعو ربه لهداهم
وإن كان قد قاسى أشد المتاعب
مازال يعفو قادرا عن مسيئهم
كما كان منه عند جبذة جاذب
وما زال طول العمر لله معرضا
عن البسط في الدنيا وعيش المرازب
بديع كمال في المعاني فلا أمري
يكون له مثلا ولا مقارب

في بيان بعثة النبي وأحوال الأمم السابقة يأتي الشاه بالأبيات الساطعة التي تدل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ كان رسول الله ﷺ موضح طريق الحق مبين سبيل الرشاد' صراط الله' قد اهتدى به من شاء الله تعالىٰ هدايته في حال' قد جعله الله تعالىٰ صمصاما' مدمرا كل من عائده وعارضه ولم يهتدوا بنوره الشريف

ويقول الشاعر:

أتانا مقيم الدين من بعد فترة
وتحريف أديان وطول مشاغب
فيا ويل قوم شركون بربهم
وفيهم صنوف من خيم المثالب
ودينهم مايفترون برأيهم
كتحريم حام واختراع السوائب
وياويل قوم حرفوا دين ربهم
وافتوا بمصنوع لحفظ المناصب
وياويل قوم قد أخف عقولهم
تجبر كسرى واصطلام الضرائب

ومن قبل هذا لم يخالط مدارس
اليهود ولم يقرأ لهم خط كاتب
وأوضح منهاج الهدى لمن اهتدى
ومن بتعليم على كل راغب
وأخبر عن بدء السماء لهم وعن
مقام مخوف بين أيدي المحاسب
وعن حكم رب العرش فيما يعنهم
وعن حكم تروى بحكم التجارب
وأوعد من يأبى عبادة ربه
عقوبة نيران وعيشة قاطب
فأنجى به من شاء منا نجاته
ومن خاب فلتند به شر النوادب
فأشهد أن الله أرسل عبده
بحق ولا شئ هناك يرائب
وقد كان نور الله فينا لمهتد
وصمصام تدمير على كل ناكب(٢٧)

يحاول الشاعر في القطعة الآيته من الآبيات بيان ما يغمر قلبه وعقله وايضاح ما يحتوى عليه ذهنه من صدق نبوة سيدنا الكريم محمد ﷺ مبنيا على علم تام، وفكر راسخ وقلب يقظ وبين أن الشرع الإسلامي الذي جاء به نبينا الكريم ﷺ هو أصفى المشارب ، وذلك لمن رزقه الله عقلا راسخا وفهما كاملا لأن الشرع الذي أنزله الله سبحانه وتعالىٰ على حضرته القدسية الطاهرةﷺ يشتمل على حسنيين، إحداهما:

سهولة ويسر أحكامه وسماحة شرائعه القوانينية التطبيقية وأما الثانيه فإنه رغم سهولته ويسره وسماحته شرع رصين متين مؤقر، أعز الله تعالىٰ ثم أعزبه من اتبعه.

ويقول الشاه ولي الله:

"أن رسول الله النبي الأمي ﷺ متصف بالأخلاق الفاضلة والخصال النبيلة، والعادات المرغوبة فيها كما أتم الله عليه ﷺ نعمه وفضله، فأرسله بنبوة تجمع فيه الرأفة بجانب الغلظة والرحمة بجانب الشدة، والعفو بجانب الغضب والحلم عند المقدرة والسماح عند الطاقة، فنحن نصدق بنبوته ودينه بصميم قلوبنا ورضاء أنفسنا، مستمدين أمول تصديقنا له، ولنبوته ولدينه من الدلائل القاهرة والبينات الواضحة التي فهمها من الغرائب والعجائب."

فنجد هذه الحقائق في الأبيات التالية:

وأقوى دليل عند من تم عقله
على أن شرب الشرع أصفى المشارب
تواطي عقول في سلامة فكره
على كل مايأتى من مطالب
سماحة شرع في رزانة شرعة
وتحقيق حق في إشارة حاجب
ومكارم أخلاق وإتمام نعمة
نبوة تأليف وسلطان غالب
نصدق دين المصطفى بقلوبنا
على بينات فهمها من غرائب (٢٨)

يذهب الشاه ولى الله بالقاري بعد إيمانه بالنبي ﷺ وتصديقه لنبوته الحقة، إلى شئ ثابت آخر، ألا وهو التدبر والإمعان في معجزات النبي ﷺ المتعددة والتبي هي أفضل الدلائل وأحسنها في إثبات صدق نبوته ما يقول به ويرويه عن ربه بعد ما ينزله عليه ربه.

فنجده قائلا: إن براهين الحق أوضحت أقوال النبي ﷺ وصقدقت به، وقد رواها عنه السابقون وستظل تروي على ألسنة المتأخرين الشباب منهم

والشيب ويحصى بعضا من هذه البراهين والمعجزات ' ومن أعجب معجزاته ﷺ أن ينشق البدر بإشارة يده (بل إصبعه)(١)

أسرى الله به ليلا وركبه ﷺ البراق للمعراج شاهد ﷺ أنوار ربه فوق سبع سماوات' عند سدرة المنتهى' عند ما كان قاب قوسين أو أدنى. (٢)

فقال الشاه ولي الله:

براهين حق أوضحت صدق قوله
رواها ويروى كل شب وشائب
من الغيب كم أعطى الطعام لجائع
وكم مرة أسقى الشراب الشارب
وكم مريض قد شفاه عاءه
وإن كان قد أسقى لوجبة واجب
وأعجب تلك البدر ينسق عنده
وما هو في إعجازه من عجائب
وأاسرى على متن البراق إلى السماء
فياخير مركوب وياخير راكب
وشاهد فوق الفوق أنوار ربه
كمثل فراش وافر متراكب
وراعت بليغ الآي كل مجادل
خصم تمادى في مراء المطالب(٢٩)

والموضوع الأهم الذي تتناوله أشعار الشاه ولي الله يتعلق بذكره طوائف المسلمين الذين لا يزالون على الدين القويم وينصرونه' ويؤيدونه' لايخافون فيه لومة لائم' ظاهرين على الحق' فيقول:

إنه لا بد أن توجد في كل عصر طائفة مسلمة مؤمنة ظاهرة على الحق مؤيدة لدين الله وتليه طائفة أخرى في عصر مابعده، هكذا تتوالى وتستمر الطوائف الموازرة للحق إلى أنواع:

فقال:

يؤيد دين الله في كل دورة
عصائب تتلو مثلها من عصائب
ومنهم رجال يدفعون عدوهم
بسمر القنا والمرهقات القواصب
ومنهم رجال يغلبون عدوهم
بأقوى دليل مفحم للمغاضب
ومنهم رجال بينوا شرع ربنا
وما كان فيه من حرام وواجب
ومنهم رجال مخلصون لربهم
بأنفاسهم خصب البلاد الأجادب
على الله رب الناس حسن جزاءهم
بمالا يوافى فى حده ذهن حاسب

ينقل الشاه ولي الله من العشق المجازى إلى العشق الحقيقي في أبياته، ويقول للناس مذاهب ولي مذهب في العشق ، حب النبي ﷺ فهو مذهبي، وفيه نور الهداية ونجاة الآخرة، وأحبه الحب الذي يغمر قلبي حتى يقشعر من الوجد جسمي، وأجدني في كيفية لا يدركها إلا من له باع طويل في مجال التصوف والإنابة إلى الله تصور رسول الله ﷺ فقال الشاه في ذلك مايأتى:

فمن شاء فليذكر جمال بثينة
ومن شاء فليغزل الزبانب
سأذكر حبي للحبيب محمد ﷺ

إذا وصف العشاق حب الحبائب
وأذكر وجدا قد تقادم عهده
حواه فؤادي قبل كون الكواكب(٣١)

وفي نهاية القصيدة البائية نجد الشاعر يخضع مناديا الرسول الكريمﷺ في ذل وابتهال، راجيا منه حضرته القدسية الذكية الزاكية العاطرة نواله يوم القضاء وحفظه وصيانته من كل شر وسوء إذا أدلهمت إليه الخطوب والنكبات، فيتوجه ويستند إليه ويطمع فيه ويرتجي منه كما أنه رحمه الله تعالى يصف حبيبه ﷺ بصفات الكمال ، وصفات الجود والعطاء والبذل، وصفات الرحمة والرأفة والتودد ، حيث يقول:

صلى عليك الله يا خير خلقه
وياخير مأمول وياخير واهب
وياخير من يرجى لكشف رزية
ومن جوده قد فاق جود السحائب
فإني منكم في قلاع حصينة
وحد حديد من سيوف المحارب(٣٢)

الهوامش

١. أنظر حياة ولي ص ١٠١ لمحمد رحيم بخش الدهلوي ' مكتبة طيبه' لاہور: ١٩٨٠م.

٢. نزهة الخواطر ' الجزء السادس ص : ٣٩٨' لمولانا عبد الحي اللكنوي م: دار المعارف عثمانيه' حيدر آباد ' الدكن' الهند ١٩٤٨م.

٣. الإمداد في مآثر الأجداد ' للشاه ولي الله ص : ٢٥' م: المجتبائي' دهلي.

٤. الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف: أبجد العلوم' الجزء الثالث' ص : ٢٤١' للشاه ولي الله الدهلوي.

٥. المرجع السابق.

٦. نزهة الخواطر' الجزء السادس ص: ٣٩٩' لمولانا عبد الحي اللكنوي م: دار المعارف عثمانية' حيدر آباد الدكن' الهند ١٩٤٨م.

٧. الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف : ص:٤' للشاه ولي الله الدهلوي.

٩. بجد العلوم ' ج ١ص: ٢٤٢' لنواب صديق حسن خان القنوجي' المطبعة الصديقى ' بهوبالل' ١٢٩٦ه.

١٠. نزهة الخواطر' الجزء السادس' ص:٣٠٧ لمولانا عبد الحي اللكنوي م: دار المعارف عثمانية' حيدر آبادالدكن' الهند' ١٩٤٨م.

١١. المرجع السابق.

١٢. أبجد العلوم' ج٣' ص : ٢٤٢' لنواب صديق حسن خان القنوجي'

١٣. نزهة الخواطر' الجزء السادس ص : ٤٩ لمولانا عبد الحي اللكنوي.

١٤۔ تذكرة علماء ' هند: لمولوي رحمان علي 'باكستان هستاريكل سوسائتي'كراتشي' ١٩٦١م۔

١٥۔ حياة ولي : ٤١٨۔

١٦۔ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولي الله الدهلوي: ص : ١٥٩' م ١٥٩:ضياء' القرء ان۔ لاهور۔١٩٧٥۔

١٧۔ الاستيعاب في معرفة الأصحاب' لابن عبد البر' الجزء الثاني' م: دائرة المعارف' حيدر آباد۔ الدكن۔ ١٣٣٧ھ۔

١٨۔ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولى الله الدهلوي: ص: ٢٤۔

١٩۔ المرجع السابق۔

٢٠۔ الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ' م : مصطفى البابى' مصر'

٢١۔ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولى الله الدهلوي: ص: ٢٦۔٣٩

٢٢۔ الجامع الصحيح للبخاري' كتاب الإيمان' كتاب الصلاة' م: نور محمد أصح المطابع' كراتشي۔

٢٣۔ الجامع الصحيح للمسلم كتاب الإيمان' باب إثبات الشفاعة' م :دار إحياء التراث العربي' بيروت ١٩٢٩م۔

٢٤۔ الصف:٦

٢٥۔ البقره: ١٢٩۔

٢٦۔ أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم للشاه ولى الله الدهلوي: ص: ٤٤۔٤٨

٢٧۔ المرجع السابق۔

٢٨۔ أيضا' ص : ٦٧۔٨٤۔

٢٩۔ أيضا: ض : ٩٦ ۔ ١١٩

٣٠۔ أيضا: ٣٨ ۔١٤٦

٣١ أيضا: ١٤٩ ۔ ١٥٠

٣٢۔ أيضا: ١٥٦ ۔ ١٦٣